

المجنون

ديوان حجر النار



المجنون
ديوان حجر النار

المؤلف :

كلارا خانيس

ترجمة :

د. طلعت شاهين

الطبعة الاولى:

1995

الطبعة الثانية:

2008

رقم الإيداع

2008/5289

حقوق الطبع محفوظة

تصميم وتنفيذ الغلاف:

كامل جرافيك



سانابل للكتاب

ه شارع صبري أبو علم

باب اللوق - القاهرة

تليفون:

(+202) 2 393 56 56

(+202) 2 392 65 93

e-mail:

sanabooks@maktoob.com

www.sanabil.net

بالتعاون مع:



الإشراف العام

د. طلعت شاهين

sanabook@maktoob.com

المجنون

ديوان حجر النار

للشاعرة الإسبانية:

كلارا خانيس

ترجمة وتقديم:

د. طلعت شاهين

هذه الترجمة الكاملة لرواية:
Divan el opalo de fuego

للكاتبة الإسبانية:
Clara Janes

ينشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الإسبانية

La presente edición ha sido traducida mediante una ayuda de la Dirección del Libro, Archivos y Bibliotecas del Ministerio de Cultura de España

تقييم

تعتبر الشاعرة الإسبانية "كلارا خانيس" من أبرز الأصوات الشعرية المعاصرة، ليس في إسبانيا، أو حتى في الدول الناطقة باللغة الإسبانية فحسب، بل في الشعر الأوروبي الغربي، وهي تنتمي إلى جيل الستينيات، الذي مهد للثورة الشبابية التي انفجرت في باريس في ربيع عام 1968، وشاركت فيها، تلك الثورة التي كانت نقطة تحول في الحضارة الأوروبية ولكن سرعان ما انتكست هذه المحاولة، لتسقط أوروبا في مستنقع الاستهلاكية المادية التي تطحنها الآن، ولا تترك لها مجالاً لترى أبعد من مكان قدميها، فذابت المثل العليا التي نادى بها هؤلاء الشباب، تحت وطأة عمى الألوان السياسي للزعامات الأوروبية، التي لا تزال ترى في الأمم الأخرى مشروع عبودية، والدول التي لا تنتمي إلى تلك القارة مشروع مستعمرات، ولكن بعض هؤلاء الشباب، المبدع منهم خاصة، حاولوا الإفلات من تلك القبضة القاسية، التي أمسكت بخناقهم، وكانت "كلارا خانيس" أحد الأصوات الشعرية الإسبانية، التي غادرت المادية القائلة، التي تحتوي روح الغرب، لتبحر في عوالم النقاء والنور، واختار صوت هذه الشاعرة أن يبحر في اتجاه بعيد، بحثاً عن روح ثقافتها الأصيلة، التي تمتد بجذورها إلى الجذور العربية الأندلسية، التي شكلت ولا تزال تشكل روح الثقافة الإسبانية، منذ سقوط غرناطة وحتى هذه اللحظة، على الرغم من محاولات البعض إنكار ذلك، وفي هذا المجال تقف الشاعرة "كلارا خانيس" بصوتها، إلى جوار أصوات أخرى من مواطنيها المبدعين، تعلن عن تمسكها بتلك الجذور، وأيضاً تؤكد

تمسكها بهذا الإرث، خاصة في شيقه الروحي، الذي مزجه "سان خوان دي لا كروث" مبكراً بروح إسبانيا المسيحية، ثم أكد عليه عدد من كبار المبدعين المعاصرين، وعلى رأسهم الروائي "خوان جويتيسولو"، وإذا كان هذا الكاتب يعتبر "محيي الدين بن عربي" الأندلسي أستاذاً، وجزراً أصيلاً في تكوينه الثقافي، فإن "كلارا خانيس" تتجاوز ذلك، لتمر عبر صوفية "بن عربي" إلى الثقافة الإسلامية، بكل جذورها العربية وغير العربية، وبتراثها الروحي الصوفي، الذي يتجاوز المادية التي تعتصر الحياة الأوروبية المعاصرة، فتقتل كل حس إنساني، وتحكم عليه بالغرابة والاعتراب حيث:

" كل الصنابير تنزف

الدوايب مليئة بالغبار

...

والملابس محكومة بالفوضى

وعندما تنفتح الأبواب

تلقى بأحشائها

التي تحرّضُ على الطعن"

لذلك يقول عنها الشاعر والناقد الإسباني المعاصر "كاباييرو بونالدو" أحد أبرز شعراء "جيل ما بعد الحرب"، إنها تنفرد عن أبناء جيل الستينيات في اللغة الإسبانية، الذي تنتمي إليه، بأنها من الذين يجب قراءتهم في عزلة وهدوء، لأن شعر "كلارا خانيس" يدعو إلى التأمل والتوحد والتركيز، فتركيز تعبيرها وحواراتها الدرامية الداخلية، تتطلب اقتراباً محسوباً، وتدرجاً في فهم رموز شعرها، التي

لا نتقاد إلى القاريء من الوهلة الأولى، ثم يصف شعرها بأنه مركب ومعقد، وعلى الرغم من أنها لا تحاول أن تتلاعب بالألفاظ كما يحلو للبعض للخروج على المؤلف، بل هي تكتب شعراً مركباً في صورته وأفكاره.

وتصفها الشاعرة "روسا تشاسيل" بأنها من أبرع شاعرات الحب وأرقهن وأجملهن في التعبير عن المشاعر.

ويمكن وصف صوت "كلارا خانيس" في شعرها، بأنه صوت الخوف، لكنه الصوت الخائف المذعور من المادية القائلة التي تسيطر على الحضارة الغربية المعاصرة، التي نشأت في أحضانها، لذلك فإن شعرها قفزة إلى عوالم جديدة، عوالم غريبة عن تلك الحضارة، ولكنها ليست غريبة عنها، كوريثة لتراث من الصوفية الروحانية سواء الإسلامي منه: "جلال الدين الرومي" و"محيي الدين ابن عربي" أو حتى "عمر بن الفارض"، أو المسيحي المتمثل في كتابات الذين اتخذوا من الروحانية الصوفية طريقة في الحياة والإبداع مثل "سان خوان دي لا كروث" و"سانتا تيريسا دي أفيل"، واتخذت الشاعرة من هذه الروحانية، ملجأ لها، لتمارس منها حريتها المطلقة في الإبداع، حيث لا اعتراف بالقوانين الموضوعية على هذه الأرض، بل الحاكم الأوحد هي القوانين الخاصة بالشاعرة، وقوانين جذورها الثقافية، ومن هنا فإن الصور الفنية في إبداعها الشعري، لها خاصيتها الشخصية، التي قد تبدو منغلقة على القاريء الذي لا يعرف صوتها الشعري، أو ليست لديه معرفة حقيقية بهذا الشعر المتفرد في قاموسه اللغوي والتصويري.

شعر "كلارا خانيس" ينبع من الصفاء والشفافية، النابعين من معاناتها في تعاملها مع العالم الخارجي، الذي يدور في واقع حياتها اليومية، لذلك فإنها دائماً تمسك بين يديها بحقيقتها الخاصة، وتحاول

أن تتقدم بها وحيدة في مواجهة هذا الواقع، وأشعارها صور بالغة الكمال، مضفرة بالهواء:

"يصل شجر اللوز بزهوره إلى نافذتك

هارباً من أفكاري

...

ويُشعل

خجل الخوخ المعطر".

ومع ذلك فإنها تسافر في عوالمها المكتشفة، التي قادت نفسها إليها بعيداً عن الواقع المحيط بحياتها، وتشكل الميثولوجيا جزءاً أساسياً من عوالمها هذه، لكنها تسافر، أو تحج، وحيدة إلا من كلماتها التي تختبئ من خلفها كفارس يشق طريقه من خلف درعه الوحيدة:

"وعلى الصفحة البيضاء

انبعثت الكلمة

واتخذت شكلها الحي..."

وسفرها مبحرة في عوالمها الروحية المكتشفة، لم يكن مغامرة لغوية فحسب، بل كان مغامرة روحية مطلوبة لتتخلص من ما علق بها من الحياة اليومية المعاصرة، التي هددت حياتها بالتحول إلى "شيء عادي".

ومن أبرز إنجازاتها الشعرية كتابها "وضاحات الغابة" الذي كان نقطة التحول من الكلمة اللاموسيقية، والكلمة اللاغنائية، والكلمة المجردة:

"... سمعت الحشائش تغني

في كل ربيع تنمو الحشائش

أنا أمكنني اكتشاف هذا

إنها أحصنة المجولية التي تحرث الأرض

إنها المجولية التي تزحف لتلقي بنفسها تحت قدمي يسوع

وأخيراً حين تلمسهما

في هذه اللحظة

تزهو الحدائق.

إن هذه الشاعرة ترى في الحب المستحيل، سبباً في قدوم الربيع، هذا الربيع الذي يتغذى على الحب، ويسبب استحالة لقاء الحبيب بالمحب، لقد كان هذا الكتاب، بداية للطريق الذي سلكته "كلارا خائيس" باتجاه الحب العذري، الذي قادها بالضرورة إلى الشعر العربي، ولكنها تعرفت على هذا الحب العذري من خلال الأصوات النورانية: "جلال الدين الرومي" و"ابن الفارض" و"ابن عربي المرسي" الأندلسي.

وكان الناقد الإسباني "لويس دي بابلو" قد تنبأ بمغامرتها الشعرية في تقديمه لكتابها "كامبا Kampa" فقال:

"•نني أعتقد أن هذا الكتاب الشعري، مقدمة لمغامرة شعرية جديدة، وأن هذه المغامرة الجديدة، ربما تقود إلى كتاب شعري جديد، أو كتاب من عدة أجزاء، ربما ثلاثة، كتاب شعري كاشف بشكل حقيقي، عن مرحلة جديدة، وهذه الشاعرة لها قدرة حقيقية على تفكيك الكلمات، وإعادة تركيبها، وتوجيهها إلى معان ربما تخفى علينا جميعاً، ولكنها تكون طوع بنانها."

والكتاب الذي نحتضنه بين أيدينا، عن أسطورة "مجنون ليلى" كان فصلاً جديداً، أو تلك المغامرة المجنونة في رحلة "كلارا خاتيس" الطويلة مع الشعر إبداعاً وترجمة، فقد قدمت قبله خمس عشرة مجموعة شعرية، وخمس روايات، من بينها رواية "رجل عدن" التي استوحيتها خلال رحلة حقيقية، قامت بها إلى اليمن قبل أعوام قليلة، بدعوة من جامعة صنعاء، ورئيسها في ذلك الوقت الشاعر اليمني "عبد العزيز المقالح"، للمشاركة في لقاء شعري يضم شعراء عرب وشعراء إسبان، وتسعة أعمال شعرية مترجمة من الأدب الأوروبي، إذ تجيد الشاعرة عدة لغات أوروبية، نقرأ بها وتترجم منها، إضافة إلى عدد كبير من الدراسات الأدبية التي تتناول أعمال كبار الشعراء، الذين أثروا الحياة الأدبية والفكرية لجيلها.

وتعاملها مع هذه الأسطورة العذرية العربية لـ"مجنون ليلى" جاء من منطلقها الخاص، المغاير لمنطق الحياة اليومية، بل هو مغاير حتى لمنطلقات معظم الذين تعاملوا مع هذه الرواية العذرية، فهي من حيث كونها امرأة، لم تتخذ من ليلى صوتاً وقناعاً لها، كما كان متوقفاً من شاعرة غربية، قد نجد في صوت ليلى شيئاً من التغريب المغربي، الذي يمكنه أن يقدمها إلى قراء لغتها واللغات الأوروبية الأخرى، كنوع من التفرد بين شعراء جيلها، وإنما لبست ثوب "المجنون"، لأنه العاشق والمحب الحقيقي، في رأيها، الذي يستحق التمجيد، فلم يكن محباً أفناه الحب ورضي بما قدر له، بل كان روحاً متمردة على واقع محكوم بقوانين لا تعترف بالروح المحركة لهذا الحب الصافي النقي:

"رفض القيم

الخروج على العار

الاستسلام الكامل للحب

...

وفي روحه تتوغل

جمرة متقدة..."

فحولته الشاعرة إلى شهيد، وتحولت معه إلى شهيدة لعشق
أسمى من عشق البشر الأرضي:

..."

والحب عريه، وغطاؤه

الجنون والسحر والمطلق والوعي..."

مالت الشاعرة بالأسطورة العربية نحو روحها القلقة، فأضفت
على نفسها من روح "المجنون" المحب، ورسمت نفسها في روحه
"القلقة"، وألقت به في تيه الصحراء، وسافرت معه في تجربة روحية
عذبة ومعذبة، فكانت كتابتها الجديدة لهذه الرواية محفوفة بالعديد من
المخاطر، لذلك حاولت أن تنبه إلى هذه المخاطر، خوفاً من اتهامها
بالتغريب لمجرد تقديم ما لا يوجد في ثقافة جيلها المعاصرة:

"أيها الساقى، املاً الكأس

لأغني عن كامل السيرة

التي حازت الشهرة..."

وإن كانت في هذا التنبيه تحاول إيهامنا بأنها سوف تقدم سيرة
"المجنون" كاملة، أي كما يعرفها القاريء، وطبقاً لما اتفقت عليها
جميع الروايات، وبذلك يمكنها مسبقاً نفي اتهامها بالتجاوز، لكنها
قررت وعن سبق إصرار أن تكون هذه الأسطورة أسطورتها

الخاصة، لذلك رأت في "المجنون" القصيدة نفسها، ورأت في "ليلي/المحبوبة" مجرد كائن سلبي، تسر بأسرارها للشمعة، وتسالها عن لون حداد الدخان المتلاشي، الذي يزاحم قلب المجنون، وتتاجي الفراشة الليلية وتسالها عن النبض الخفي، أو تطلب من السحابة أن تبتعد بمطرها ليزداد لهيب المحب ولهيب قلبها، ولتتحد معه وبسلبية عن بعد في شعلة واحدة:

"وللسحابة التي تمتص تنهداتنا

أضرع إليها أن تبتعد عن المطر

وتحول بقايا ليهيبنا إلى نار متقدة

في شعلة واحدة."

لكن لا المحب يصل حبيبته، ولا الحبيبة تتمرد على قيود القبيلة، ولا يبقى لـ"المجنون" سوى أن يناجي جبل "التوياد" الذي استبدلته الشاعرة هنا بجبال النعمان:

"... يا جبال النعمان

التي تحتضن قبائلنا

دعي الرياح تأتينا

بأصداء أصواتها..."

فيبقى المجنون أسير "الحب/القصيدة"، يروي عطشه من ماء يفتقده ولا يراه إلا:

".. في نبع الطيف الذي لا يجف"

ويعيش زاهداً في كل شيء، ولا يرغب إلا في رسم وجه الحبيبة "ليلي" على رمال متحركة سرعان ما تأتي الرياح لتذروها

فتضيع تاركة إياه في متهاته:

"سوف أعيش من اللاشيء

وبخطوط كفي

أرسم وجهها

في الرمال."

ويبقى المجنون طريداً في الفلا تحرسه الوحوش والغزلان،
معانقاً اللاشيء، ومتقلباً على سرير من نار:

"فلا المدى المظلم

ولا ضوء النجوم الفاتر

يمكنه أن يطفىء الروح المضيئة..."

ويظل يواصل الحياة على ذكريات تغذي روحه وتبقيه على قيد الحياة، إن هذه الصورة تكاد تعكس حياة الشاعرة، التي ترفض أيضاً قيم عالمها المادي، وتحاول أن تطابقها مع حياة "المجنون"، فكل أشعارها السابقة على كتابتها لأسطورة "المجنون"، تغلفها هذه الرؤية الراضية للواقع المادي، المتغلغل في ماديته، بحثاً عن عالم أسمى من الحب الصافي النقي، لذلك فإنها عثرت هذا الواقع/ الحلم في هذه الأسطورة العذرية العربية، فـ:

"ليس سرايا ذلك الجمال

الذي يحفظ الحب في الصحراء..."

فيما تحاول "ليلي" أن تبذر حبها في الأرض الخراب، زهرة يقطفها "المجنون"، فإن "المجنون" أو الشاعرة هنا، لديها إصرار على الإبقاء على صورة الحبيب القديمة، رافضة محاولات الحبيبة في

الاقتراب، فنقول على لسان "المجنون" الذي هو صوتها في
الأسطورة:

"... ابتعدي أيتها المحبوبة،

لا تصرفي

الصورة التي أحفظها لك..."

ويظل يجول المجنون الليل مستحضراً وجه الحبيبة، حتى في
بقايا ظلال يراها آملاً في الوصول إليها عبر الأحلام:

"... آه، من اسم الحبيبة

الذي يسبح في الأثير

ويسمح لي أن أصل إلى حلمها."

ويظل "المجنون" محباً وعاشقاً، فيما لا تحرك الحبيبة ساكناً،
سوى مواساته، بأبيات تكتبها، وتقدمها له كزهرة، وتطلب من
"المجنون" أن يقطفها:

"عشقي المجنون ينفذ

في الأرض الخراب

يبذر فيها الزهرة

التي تحيا لحظة خاطفة

اقطفها يا مجنون."

وتظل "ليلى" في ترددها بين التمرد والبحث عن الحبيب،
والخضوع لقوانين القبيلة، حتى تغلبها سلبية فتتزوج، ويموت
الزوج، لكن بعد أن كانت القبيلة قد دجنتها، وتظل مخدوعة بشعرها

عن الوفاء حتى لحظاتها الأخيرة، حين نكتشف ضياع حياتها الحقيقية، فتعترف بأن الحب هو الطريق الوحيد إلى عالم آخر سوف تدخله وحيدة، ولأنها تخشى فيه وحدتها، فإنها تتقدم، وتطلب من الحجر المشتعل الذي هو القلب، أن يقودها عبر بوابة البرق، لتدخل الأبيض اللانهائي في انتظار أن يلحق بها الحبيب:

"أنت أيتها الجنة - القلب

الرمانة الساكنة

الحجر المشتعل

إلى بوابة البرق

تقودني... وأدخل

كطائر

في الأبيض اللانهائي".

بعد موت المحبوبة لا يجد "المجنون" سوى الموت، طريقاً للقائها، والإتحاد معها في مكان واحد، بعد أن خذلتها الحبيبة حية في تمرده ضد قوانين القبيلة، فيقول قصيدة النهاية، ويتحول إلى تراب في قبر "ليلي":

" تراب في التراب هي ليلي

وفي اللاشيء يضيع بهاؤها

أن أكون لاشيء في اللاشيء

هو مرادي

فطريق الموت

يوحدنا في العوالم الخفية".

وتستمر الأسطورة بين "مجنون ليلي" و"مجنون كلارا خائيس"، فهي تضفر أسطورتها الخاصة، معتمدة على نصوص متعددة، حتى تتمكن من التجول في هذه الأسطورة بحرية، وتضع عليها بصماتها الخاصة، لذلك فإن القاريء يجد من التطابق والاختلاف، ما قد يحيره، إلا أن "كلارا خائيس" في أسطورة مجنونها، تعتمد على أن التواصل هنا، هو تواصل بينها وبين قاريء تنظر منه أن يتقبل منها نسجها الخاص، ففي النهاية لن تكون هذه الرواية الجديدة لأسطورة "مجنون ليلي"، سوى رواية خاصة جداً بالشاعرة، تعكس من خلالها رؤيتها لعالم متكامل، كانت تود لو عاشته بكل ما فيه من مأساوية، لأنها تعيش مأساوية أشد وأعظم، مأساوية إنكار روحانية الحب العذري، في عالمنا المعاصر.

د. طلعت شاهين

كلمات أولية

هامش

لمحتُ حجرَ النارِ

وقتَ الغسقِ

كسحابةٍ مضيئةٍ،

تهيمُ على الخمارِ السريِّ،

وقد ملأتُ الفلا بأقواسِ قُزَحٍ:

كانتُ كسُطايا حكايةٍ

يحرصُها اسمُ الليلِ،

وسكنتُ القصيدةَ في

صمتِ الأسطورةِ.

الأعذار و الأسباب التي كانت وراء هذا الكتاب

أنتَ لا تعيشُ في حياتكُ،
و لا في الأزمنة التي تمضي،
إنهم يتساءلون،
أين تعيش؟
فتجيبُ: في العشق.

تحوّلتُ شراييني إلى وديانٍ من المرايا،
تمنحُ هذه الأسطورة مجراها،
أسطورة شابيينِ
عثر كلُّ منهما على الآخر،
بعد سفرٍ طويلٍ،
تداخلا، و صار كلُّ منهما الآخرَ،
وبقيا في سكونٍ هذا الحالُ،
المحبوبُ لا يسكن الفلا
بل في عمق الأحلام.

الفصل الأول

الطفولة

قصيدة تأخذ مكانها في المقدمة
لأنها كرست جهودها لمن تلقى هذه الأشعار

مزَّق الصمتَ طائرًا،
أشعل التوهجَ كحجرٍ من نارٍ،
وامتلأتُ يداي من أجلكَ بلهبٍ تنيني،
أسميكَ قيساً،
وأؤكدُ أنكَ أحببتني في طفولتكِ،
كما أحببتكُ أنا،
قبل أن تلقى غيمةً
بظلمها العبوسِ عليكِ،
ألهمتُ بإتجاهِ تلكَ اللحظةِ
وألحقُ ببئرِ الفرحِ.

يفتش الشاعر عن الشفافية

أيتها المحبوبة،
انزعي عنك الخمار،
ودعي الأزهارَ
تُشرق بكمالها،
وأيقظي الندى
في أعضائي النائمة.
إن شفتيّ الحبّ
كأس،
ترنو إلى إمتصاصِ الشفافيةِ
والارتواءِ بها.

كيف يبحث المجنون عن عشقه

أحبُّ ليلي !
الطفلةُ الأجمَلُ
بين بناتِ القبيلة !
حديثها لا ينطقُ
سوى الفرخِ،
إنها تُشبهه ألوانَ حريرِ اليمنِ،
وحين تبتسمُ
تخطفُ بصري بلأليِّ عدنِ،
وحاجباها قوسُ اشتياقي،
عيناها مُعبَّقتان بالدنانيرِ،
إنها كنزُ أحلامي
الخفيُّ.

حيث يقص فصلاً مما حدث في المدرسة

دخلا في أحضان الأيك،
وأوراق الأشجار،
يضيئهما شعاعُ شمسٍ
كالمرايا،
فيرسمُ على وجهيهما علاماتٍ سريّةً،
محاصران يبتسمان في صمتٍ،
بعدها، منحمهما النسيمُ صوتاً نباتياً
وتبادلا النظرات العميقة
وغرقا في حديثٍ بلا معنى.
لم يسمعا ناقوس
نهاية ساعةِ السمر.

لمسَ المجنونُ نراعَ ليلي بسبابتيه
وهمسَ صامتاً:
يُدُّها المعتمدةُ على الفروع،
طائرٌ أبيضُ
لا يداخله الخوف.

قصيدة كتبها المجنون مدعياً الخطأ

لتصح له ليلى ما ارتكبه

تذكرني أيتها الأوراق، أن هذه الحكاية التي تضمينها
على أفقك الناصع،
كنت أنت شاهدها الأول،
تذكرني الرسوم،
تذكرني يديها تتحسّسانِ سطحك،
تذكرني أنه في تعاريج الخطوط
الحادة،
نامت تعرّجاتُ حروفها،
التي تتجمّع في موجاتٍ تهجّي
العشق.

الفصل الثاني
منبت الورد

صورة شخصية للبطل

عارياً يدخلُ المجنونُ

حديقةَ الأزهارِ،

وفي روحه تتوغلُ

جمرةٌ متقددةٌ،

حيث لا وجه للجنةِ

سوى وجهِ ليلي.

وجسدها كلمةُ عشقٍ،

الحبُّ عُرِيه، وغطاؤه

الجنونُ والسحرُ، والمطلقُ، والوَعْيُ.

قصيدة اللقاء

التقتُ عيونهما
وانهارتُ في اللحظة ذاتها،
وأصاب الخرسُ صوتَ البلبَلِ
الذي كان يجذبُ أنفاسهما،
وضاقت بهما الأشجارُ.
وأصابتِ المجنونَ غابةُ العطشِ،
ورسم ملامحَه على وجهِ ليلى،
فلم يُفلح الماءُ
ولا الشدَى:
أفقٌ حارقٌ
مَحَا شعاعَ النهارِ عن الأزهارِ،
وسكنَ ذاكرتَها.

عن كيف غادرت ليلى تلك الحديقة

جمعتُ الزهورَ المتناثرة،

ثم تكورتُ خلفَ النافذة،

وحينَ أطلَّ القمر،

بلسماً من الظلال،

نطقتُ بتلك الكلمات:

"ليلٌ أنا،

جنورُ الألم

مغروسةٌ في الهواء الذي أستشقه،

آه، صديقي الذي يشعُ،

ضيفَ الكهرمان!

أنا أيضاً،

أندثرُ بالعتمة،

وفيها أعيشُ،

ولا يستطيع

غير أسرار العناصر الأربعة،

أن يفتحَ في سواها

طاقة من نور."

المجنون يتأمل العناصر الخاصة للاحتفال بالعام

الجديد، بعد شفائه، بعيداً عن ليلى

تَضِيغُ الدنانيرُ في الحشائشُ،
النبيذُ العلقمُ، السماقُ،
طَرَحُ الزيتونِ البريِّ،
يتلاشى العقيقُ والتفاحُ،
وريحُ حارقةٍ
تعصفُ بضوءِ الشموعِ،
وتُعتمُ المرايا،
وتُفسدُ بذرَ القمحِ،
فلا الثومُ ينمو،
ولا الأسماكُ تسبحُ في الماءِ الصافي،
هي الرقمُ السابعُ بلا نيروزِ،
بلا عينينِ،
يتيمة،
أرضٌ لا تعرفُ ميلادَ الحقولِ،
لا تعرفُ انبثاقَ الزهورِ في نهديها،
نسيمها مستحيل.

الفصل الثالث

المجنون

الشاعر يعترف بصعوبة هدفه

أيها الساقى، املاً الكأس،

لأغني عن كامل السيرة

التي حازت الشهرة:

العذرية،

رفض القيم،

الخروج على العار،

الاستسلام الكامل للعشق،

حتى الجنون،

حتى الضياع

في تيه صحراء نجد،

الممتدة بلا نهاية.

ما قاله المجنون بعد أن أمضى الليل ساهراً

أمام بيت الحبيبة

أُقبلُ الأرضَ التي داستها قدمك،
أُقبلُ آثارك

التي أتعرفها، ليلالي الجميلة.

وحين يهتفون: "انظروا المجنون"،

أصرخُ أنا، وكما ينطلقُ،

يخترقُ صوتي السحر،

ليصلَ أحلامك،

فصدى الظلالِ

لم ينمَ في صدري،

وعبثاً تحسَّسُ

شفاه الظلامِ المبللة.

ابتهال

أنظري، أيتها الروح المتجهةُ
إلى مدينة الحبِّ المقدَّسِ،
المسي الحجرَ المنقَّذُ
وادخلي النبيذَ المعتقَ،
وانعكاس الضوء الأبدِيَّ،
وفي البحرِ المجهولِ،
فإن المادَّةَ تفنى
حتى لا يبقى
سوى الجنونِ.

الرفيقات يحاولن التخفيف عن ليلي

حين حرّم أبوها عليها الهوى

تألمي الرقصَ يا ليلي، يا رفيقةَ الصبا،
استمعي إلى دقاتِ الدّف،
نحيبِ النايِ الحلوي،
وانتظري لحظةَ انطلاقِ البخورِ،
الذي يأخذُ هدجاتك في سحاباته،
وحين تلمسُ يداك زهورَ الياسمين،
تذكّري الهوى، وأنسي الذكرياتِ،
فالنهرُ بين قدميكِ
يفتحُ المساقِي الخبيثةَ
في حديقةِ الأسرارِ.

عندما انطلق المجنون إلى الصحراء

يحترقُ المجنونُ بالعشقُ،
فتسيلُ الصحراءُ بالينابيع.
تبني الطيورُ أعشاشها في خصلاته
وتتبعهُ الوحوشُ،
تحرسُ معبدهُ، لحمًا حيًّا،
وقلبهُ، حجرًا من نارٍ.

الفصل الرابع

الفراق

يدافع الشاعرُ عن انتصارِ الحبِ على الصعابِ

تُسمعُ الآنَ أجراسَ الرحيلِ،
يتوازنُ الفرخُ
على خيطِ الفراغِ،
يؤكدُ الفرخُ ديمومتهِ،
كم حاولَ الفراغُ الفِراقَ،
هزيمةَ الزمنِ
بضوئهِ الوحيدِ،
هل هو التوازنُ أم الموسيقى،
الذي يلمعُ
في نقطةِ الالتقاءِ
التي لا تنتهي.

صوت العاشق في العتمة

لو أتجاهلُ صوتي، أمزقُ ثوبي
وأحلمُ بالشهادة،
فلا توبخني، أيها العاذلُ،
يكفيني جديلتها
لتسترني :
تُذيعُ شهرتي
صوفياً وفاحشاً،
وتسكنُ عيناها
عُشَّ قلبي .

المجنون ينجي الجبل الذي يحسبه رفيقاً

فيجيئه الصدى

الجبلُ والصدى يتحاوران
مع آلامي،
آه، أيها الصديقُ الوفيُّ!
فلنجمعُ شفاهنا
على الحجرِ الصلِّ!
الذي يرقُبُ في الهواءِ
وخذَ الألمُ،
يا لصُعُوبَةَ ساعةِ
زمنِ الصحراءِ،
ويا لصُعُوبَةَ الابتعادِ عن نجدِ،
حين يعبِّقُ الزهرُ
الرياحَ،
وتسمعُ القطعانَ
ترعى في الوديانِ.

هنا يعلن موقفه في مواجهة الاتهامات
التي يوجهها البعض إليه

عارياً،
لا يحتملُ حزني
حتى الهواء الهفّافُ،
هارباً من الدنيا،
فلا أجدُ مواسياً لهمومي
سوى الوحوشِ،
في الصرخةِ
يفتحُ الصوتُ صوراً
يحتمي فيها أَلمي.
مشتعلاً،
يا لأحترق رغبةً حبيبتني،
ويا لأحترق الرغبةَ في أَلمي.

الفصل الخامس

حياة في الصحراء

عن كيف أطلق المجنون غزالات أسيرة ليصبحن رفيقاته

حين كان الصقرُ يحوّم
في أعالي الجبالِ،
يراقبُ حظّه،
أطلقَ المجنونُ غزالاتِ
وقعن في شركِ الصيَّادِ.
حملتِ الريحُ صدى بكاءها
وكانت كلماتٌ واحدةٍ منها
همهمَ في أذنيها: أنتِ رقيقةٌ
ولكِ عينا محبوبتي،
سأليني عن ظلِّ ليلي
بشمسِ وجهكِ الذهبيةِ.

ليلى تلقي بسرّها لشمعة وفراشة ليلية وسحابة

إلى شمعةٍ تتمايلُ،

أتساءل عن لونِ

حدادِ الدخانِ المتلاشي .

محترقاً في دموعٍ من شمعٍ،

لا تزالُ تنبضُ بالحياة،

وتزاحمُ

قلوبَ المجنونِ .

أسألُ الفراشةَ التي تقتربُ

عن النبضِ الخفيِّ .

فتفردُ الأجنحةَ وتَهَبُ نفسها إليها،

وترسمُ قلبي

في الفضاءِ .

وللسحابة التي تمتصُّ تنهداتنا
أتضرعُ إليها أن تبتعدَ عن المطرِ
وتحوّلَ بقايا لهيبنا إلى نارٍ متقدةٍ
في شعلةٍ واحدةٍ،
نجمِ خالدٍ،
يكونُ سيرَ حبنا.

أنا، المجنونُ، صوتُ ليلى،
الملتفُ بالصخبِ، الذي يشفُ،
من جسدٍ إلى جسدٍ
فتراه عيناكِ.

من الأشياء التي يقولها العاشق عندما يسمع اسم
ليلي، أبيات شعرية تنتشر في أركان الأرض الأربعة

هرب طائرٌ من القلبِ
عندما سمع اسمها،
وهرب جسدي كلُّه
حتى آخر الأفرع.

يا جبالَ النعمان
التي تحتضن قبائلنا،
دعي الرياح تأتينا
بأصداءِ أصواتها.
في أعالي الأشجارِ
سوف أسكنُ.
لأرقيبَ ظلالها
وأنسى ظلي.

من المجنون لزائر خف لسماعه

انزلُ عن ناقتِك،
لا تخف الأسود:
النارُ تخيفهم،
والصمتُ
المنتشرُ بين الكتبانِ
طريقٌ يقودُ
من منتصفك حتى اللانهائي،
لا تلحق به الوحوشُ
ولا ظلالُ السحابِ.
لا تحنِ الرأسَ
على سحابةٍ،
دع النسيمَ
يسكنُ بصركَ،
وسوف ترى مائةَ وريقةٍ
من زهرةِ العشقِ،
وألفَ وجهٍ
للشفافيةِ.

ما قالته ليلي لنفسها متنبئة بحوادث المستقبل

حين يأتي الجحيمُ
يكون السقوطُ رهيفاً،
والريشُ يحفني.
يُغلقُ عينيَّ
تحويمُ طائرٍ،
لأفتحهما
على بياضِ المعجزةِ الأبديةِ،
ينتشرُ جسدي
متحولاً في الهواءِ
ليصبحَ غذاءً أبدياً
يشفُّ على شفثيةِ.

عزلة الليل

الرياحُ تسوطُ الجبالَ الخالية،

ينهمرُ الشوقُ

على جسدي الساهر،

ساقطاً من القبةِ الثلجية.

تغمرنِي رغبةٌ في تلك الليلةِ

البيضاءِ القدسية.

تتفجرُ صخرة.

يتحوّلُ لحمي ليصبحَ جرحَ عشق،

لا يعرفه البلسمُ،

ولا الشذى السريُّ يخفّفُ عنه،

فيظل كعنبرٍ هاربٍ، من الأيِّك.

يحول المجنون عينيه عن حقيقة مشاعره،

وعطشه الذي لا يرويه النبع

ابحثوا عن الماء

خلفَ الجبالُ،

بعيداً عن الخيامِ،

بعيداً عن نيرانِ المضاربِ،

بعيداً عن الرمالِ وكرمِ النخيلِ،

قريباً من آخرِ العلاماتِ،

حيثُ تُضيعُ أقدامُ الروحِ العاريةِ

باتجاهِ عمقِ المدى.

ابحثوا عن الماءِ

في نبعِ الخيالِ اللانهائيِّ

الذي ينبتُ في ذلك البئرِ الخفيِّ

معانقاً كل الأشكالِ.

الفصل السادس

المجنون يستسلم للشعر

الشاعر يمتدح الصداقة التي اخترقت الصحراء
ووضعت في خدمة المجنون رجلاً وأموالاً
لتشفية من جنونه بليلى

أشربُ في نخبِ نوفل،
الذي حطمَ الجدرانَ الوحشيةَ التي
أقامها المجنونُ بينه والدنيا،
وحطمَ النُظمَ الوحشيةَ التي تحيطُ به،
يغذيه، يسرِّحه،
ويكسوه بالذهبِ والديباجِ،
ويرافقه على طريقِ الحبيبةِ.

قال:

"لو كنتُ طائراً،
لو كنتُ شظيةَ صوانِ خبيءٍ،
سوفَ أعتزُّ على ليلِي من أجلك".

آه أيها القدرُ القاسي،
إن القلبَ السجينَ
يحتضنُ الهزيمةَ نصراً!

تائه في الصحراء من جديد،

يستسلم المجنون لقصائده

يقولون أن السماء
تحوّلتُ بحراً
في بلاد اليمن،
وإنّ الوادي الأخضر
ليس إلا قشرة ماء،
وإنّ الرجال والقطعان
يهربون إلى أوكاره،
برغم إشراقه
معلنأً حصادأً وفيراً.
هنا، في قلبي،
يلمعُ نجمٌ
يُعلنُ تحولأً،
رياحُ الروح الموسميّةُ
تتقلبُ قصيدةً.

هنا يؤكد على نفس المعنى

جسدي قصائدي،
غيرها ليس لي
لكنه أبداً لن يكون صوتي،
المشاهد التي أضُمها من مجراه،
الشذى والأنهارُ
التي أتبعُ طريقها، زجاجيةً،
وأنا ذاتي
أسيرُ على الطريق،
رنين الخلاخيل
التي يطلقها الريح
في مياه المرايا المرسلّة.
مسافرٌ أنا
فقدَ عقله
يرفضُ أن يُسلمَ زمامه القلبُ.
سوف أصلُ إلى تلك الجنة،

إلى تلك الزهرة الإنسية التي هي ليلي،
حتى تلك النهاية النورانية
سوف أصل،
أسيرة الآن
في الزئبق السابع،
في الطبقة الثامنة
حيث تجري عروقي.

عن والد المجنون، الذي خرج بحثاً عنه ليعيده إلى رشده

يتقدّم في الصحراء،
تمرّ أيامٌ وليالٍ بلا نهاية،
كل شيءٍ بطيءٍ
- ما يراه في النورِ مجرى
يراه في الليلِ محارباً من ضبابٍ -
حتى يرى على البُعدِ
بريقاً
يشعُ في قلبه الطمأنينة:
إنه لهيبُ قلبِ المجنونِ
يشعُ من صدره،
عابراً الأفق.

ما قاله الفتى لأبيه رافضاً أن يتبعه

أنا لستُ مَنْ كنتُ.
إن لهيباً حياً
يأكلُ جسدي،
يخنقُ الروحَ
ولم يبقَ مني ولا حتى الخيالُ،
مجردُ صوتٍ يُحْتَضَرُ
يهيمُ في حضرةِ حروفٍ أربعةٍ
تقولُ في إتِّحادها
أسمَ الليلِ.

تأملات المجنون

بعد أن بقي وحيدا مع الوحوش

سوف أعيشُ من اللاشيء،
من خطوطٍ كفي
أرسمُ وجهها
في الرمال،
وسرعان ما تمحوه الريحُ
ويترك اللاشيء.
من الأشعار،
التي تتشكّل،
كثباناً وديعةً،
تنتزعُ شفّتي
وتمحو الصحراء،
في الفضاء،
وتصبحُ لاشيء،

من مداعباتِ هذه الحيواناتِ
التي يمرُّ حبها الأخرسُ
بلا أثرٍ في الروحِ
يساوي لاشيء،
ومن نفس الجحيمِ
من الأفقِ الأعمى
الذي أستسلمُ له
لأعناقِ اللاشيء.

كان القلب وردة للرياح

ذلك التوبادُ
حيث نخبيءُ القطعانَ،
نجمةً، علامةً الطريق
والعصافيرُ الليليةُ تغطيه
بشبكة،
بعزفٍ من الأنغامِ،
ذلك التوبادُ،
الذي كان أفقه الناصعُ
حمى طفولتنا،
يقولون لي أنها بعيدة،
في أرض الشامِ
أو في اليمنِ السعيدِ
التي عبرتها باحثاً عنها،
بعيدة هي، وأنا أحتضّرُ،

وأرى الأفقَ
خيالاً غائباً،
ويتلاشى القنديلُ السماويُّ
في الضبابِ،
مخبئاً
طريقَ الفرحِ،
والفيروزةُ التي تلمعُ
في خاتم الرب.

الفصل السابع

أعراس ليلى

عندما تعلم أن أباهَا وعد بها ابن سلام،

ليلي تخفي شهيقها وبكاءها

لا شاهد على جزعي،
وأزرارِ قميصي الحمراء
وشاليِ القرمزي
تمسحُ دموعي الدمويةً،
واليوافيتَ الزرقاءَ التي صبغتُ جبھتي
تمحو الجنون،

وفي كعبي
ترنُّ الخلاخيل
علها تتسني إشتياقي،
كما لو كانت ألفَ شمسٍ
كالثريا في عمق الماء،
فيعتَمُّ أفراحي.

ينتشرُ في أعضائي
موتٌ بعمق الصحراء،
التي تبدو حدودُها
بحدودِ ساعاتِ النهار.

عن كيف استقبل العائش مع الوحوش

خبر عرس حبيته

تزوَّجَتْ ليلي

والمجنونُ يفتحُ على الألم.

في أرضِ صدره السوداء

تنمو أشجارُ الحزنِ

وباحتراقه ودموعه

تمتليءُ الأوراقُ.

ليلي، في بيت الزوجية، تتخيل المجنون وتحدثه عن نفسها

أعيشُ في الغيابِ
وأصطادُ به
جمالَ حبيبي.
أسمعُ صوته
في صفيرِ الريحِ،
تصل إليَّ أصابعه
في أوراقِ الزيتونِ
التي تداعبني حين تمرُّ بي،
طرزاجةُ شفتاه
قطراتُ مطرٍ
تسقينني بكأسها،
الكل يقصُّ عليَّ أخباره،
الفجرُ يُوقظني بعصافيره،
وحين يخيمُ الليلُ يُغلقُ عيني
حين يسحبُ نورَه
بأيدي الظلالِ المُعَيمةِ.

ما كانت تراه ليلي أمام عينيها دائماً

سراباً لا ينتهي
حيث أرى الصحراء
تشتعل،
تشتعل في نيرانِ العشق
التي تختلط
بالغسق،
وبوابةِ أفق
الأحلام.
وبعد ذلك تحترقُ الرمالُ
وتصبحُ سريراً من نارٍ،
يطمَعُ فيه الشوق
لينتهي فيه.
فلا المدى المظلمُ
ولا ضوءُ النجومِ الفاتر،
يمكنه أن يُطفِئَ الروحَ المضيئةَ،
ولا المطرُ المفاجيءُ
الذي يفتحُ الجداول
في الصخرِ الساخنِ
يمكنه مواجهةَ
الروحِ.

لوم العاشق لصديقه الذي ذهب لزيارته

وحاول تبرير أفعالها

عملتانِ مُزَيَّفَتَانِ
عملتانِ مزيفتانِ تتبارزانِ بمرارة:
الفراقُ والانتظارُ،
وأنا، مَنْ محوتُ الزمنَ،
وأنفي وجودَ البعدِ،
أنا، من محوتُ الزمنَ،
أرفضُ إمكانيةَ وجودِ حدثٍ آخرِ،
أعيشُ في يأسٍ
الجحيمِ الكاملِ،
وفي كامل اللذة
لرؤيةٍ ما ليس سراياً:
أينما أُرصدُ وجهَ الحبِ.
ليس هنا غيرُ ليلى
حتى لو ماتت كل الغزالات
ليلى تظل هنا،
في هذا النسيمِ العذبِ
الذي هو لذتي.

المجنون يتأمل السماء المتلألئة

آه يا راعي الليل،
قل، ماذا تعرفُ
عن الأشعة الأولى
المضفرة بالسحر،
إلى أين يذهب القمرُ
حين يسيلُ
في بياض النهار؟
ماذا تعرفُ عن النجوم الشمالية
التي تتسجُ أكاليل الغارِ
لتحيط بها أحلامُ الحبيبة؟
أيها الأكاسيو
يا من تعبر المسافات الضبابية
كشعاعٍ دقيق،
أبراجُ البجع
التي تحتوي المدى بأجنحتها المفتوحة

من طرفٍ إلى طرفٍ،
والقبةَ السماويةَ
في ساعاتِ الصيفِ العليا؟
آه يا راعي الليل،
أنا هناك

مختبئاً في هذا الفلكِ
اللامعِ بأحجاره الثرية،
قل لي إنَّ النهارَ يأتي،
إن ساعةَ سحري مقبلةً،
كم صبري نافذٌ
لأكونَ نقطةَ ندى
على جبينِ ليلي،
السحرَ في جفونها.

الفصل الثامن

المصنف بالسلاسل

هنا تُعبرُ ليلى عن تفهمها للأخبار الجديدة التي تأتي من الصحراء

تلك الغزاةُ التي تهمسُ إليك، يا مجنون،
وذلك النمرُ الأرقطُ
الذي يحرسُ فضائكَ
وذلك الثعلبُ الذي يناديكَ
وينزلقونَ من حولكَ
يحددونَ تخومَ جنونك،
يتكلمونَ في داخلي،
ويسكنونَ فراغي الداخلي،
ويحرسونَ هذيانِي.

ما حدث عندما طوق المجنون نفسه
بسلاسل العبيد واقترب من مضارب ليلى
متخفياً في زي الصعاليك

تخرجُ الصبيةُ من أكثر الخيامِ ثراءً،
والمجنونُ مصفدٌ بالسلاسلُ،
يقبَلُ الأرضَ بين قدميها،
وشهقتُهُ،
تفصمُ السماءَ نصفين،
شرخٌ يولدُ في الجسدِ الحيِّ،
أرضٌ أم جسدٌ عشقُ،
يصرخُ:
هي كل شيءٍ،
أنا لا شيءٍ.
أنا أنمحي.

ليلى تنظر إلى ذلك الصعلوك
الذي لم يكن سوى المجنون

تحتَ العمامةِ
عينانِ،
كتمرّتين تهبانِ
وتطلبانِ الحياةَ.
فلا الموسيقى ولا الرقصُ
يوقفان الصفةَ المستحيلةَ.
أحفظُ ذلك المشهدَ في قلبي.
كرمٌ من النخيلِ يسكنني
يحوّمُ في أحضانِ خضراءَ.

قصيدة وحشة

وعزيمة المجنون عند المغادرة

سوف أتعلقُ بدوارِ
الحبِّ الأعمى
وأحتمي به .
لا أريدُ أن أديرَ الوجهَ
وأتوسلَ نظرةً .
أشبعُ نهمي من نبعِ الأسرارِ
حتى لا تتنبأ
بطريقي المنزلق
باتجاهِ اللاشيءِ .

عند الوصول إلى تخوم مضاربها،

يقول المجنون هذا الغزل

وجهها
هو جانبُ القصيدةِ الخفيِّ،
هواءٌ في الهواءِ،
لآليُّ،
خفاءً من الخفاءِ، علنٌ.
كفثها تشعلُ
تاجاً من الزهورِ،
تحبي رحيقها:
نارٌ في النارِ.
هدى صوتي،
أنحني
وأخطيُّ
اشتياقها الهاديِّ،
بتواضعِ الرمالِ المتحرقةِ.

رؤى ليلي

قدّم لي كأساً من البخور،
وعبرَ الدخانِ
رأيتُ مشهداً من حممِ كدره.
جاءني طالباً أن يروني ظمأه،
لكن ليلَ عينيه
كان يلفني فأخذُ الجذب،
شفافيةً عتمته
أنامتي،
يوماً كاملاً بين كفيه.
نمتُ على شفتي كلمة
توحدت بكلمته.
إنها نجمةٌ مرتحلةٌ
تمخرُ عبابَ اللاشيءِ إلى الأبد.

الفصل التاسع

الليل

قصيدة الانتظار الطويل

كلامك الضوء الوحيدُ
الذي يخترقُ العزلةَ القاتلةَ،
بها أداري الأحلامَ.
تكفيني قصيدةً واحدةً
لأعرفَ أنكَ قيسٌ،
مصفدي الجميلُ
الذي يدّعي الجنونَ،
ويُحيطُ روجي
بسلاسلَ خانقةٍ،
فأحادثُ الصخورَ
وأضيّقُ من حولي دائرةَ الصمتِ.

حين يرى القبة السماوية سجينة الظلال، يستحضر المجنون حبيته.

يبدأ الليلُ منتهاي،
فتتوزع أعضائي
في الضباب.
أين يُوجدُ صوتي،
في أي مكان،
إذا كان الجسدُ يتحوّلُ ليلاً،
ويُسلمُ للمدى
وجوده،
وتُصبحُ الأنجمُ الخرساءُ،
والعصافيرُ التي يلقبها القمرُ كالبرد،
علاماتٍ للصمت؟
آه، أن عَوْنُ أَسْمِ حَبِيبَتِي
الذي يسبحُ في الأثيرِ
ويسمَحُ لي أن أصلُ إلى حَلْمِهَا!
إلى شفتيها النائمتينِ
لأسرقَ البعثَ من جديد.
والآن تُعلنُ الشمسُ
مانحةً للملحِ دماً،
وللرمالِ قلباً من نار.

أبيات يضمخها المجنون بزفراته،

يرسل بعدها رسالة إلى ليلي

لا نهرَ يستطيعُ أن يُوقِفَ
القافلةَ المَجْنَحَةَ،

حيثُ تذهبُ أسراري

لتستسلمَ للريحِ،

إنني أموتُ عشقاً

ولا أصلُ إلى فَمِهَا.

قصيدة ليلي عندما وصلتها الرسالة وما قالته من كلام

تنام ليلي
محنياً رأسها،
في كلمات المجنون،
التي تضمها كالبحور:
"جلدي مُحترق"
لكنه يلمع،
لأنك تسكنني."

كلُّ شيءٍ يؤكد التوازن.
طائران ساكنان في النافذة،
ينتظران
أن تكتب ليلى الجواب.
* * *

"الكلمات"
اليواقيت التي نزعتهَا
رسالته من قلبي،
شمعٌ أحمرٌ
يختمُ رسالتي.

بيكي المجنون غزالة ميتة

من تكونين، من أكون؟
وهكذا أخبىء موتي
بين الأشجار والتراب.
ومن أخبئها في داخلي، أسميها،
منادياً الليل
الذي يسكنها،
- مرآة من النور،
للدنيا، الخفي،
الذي تعرفه عينك، اللتان أصابهما العمى.-
من تكونين، من أكون؟
صدري تابوت،
يحتويك،
ونتابع معاً،
فيما تحملُ الريحُ الكتبان،
في تلك الساعة التي ينامُ فيها
الطائرُ الرمادي.

في دخول الليل يرقب المجنون طائراً بقي بعيداً عن عشه

يتنقلُ الطائرُ ليلاً،
بين أفرع
أشجارِ الواحةِ الصغيرة،
ويسقطُ،
أم انه يُريدُ الرمالَ،
المتحررةَ من أوارِها
لتدخلَ الأحلامَ؟
الصمتُ المطبقُ
الذي تُلقيه القبةُ السماويةُ
على جفوننا،
فيما الجبالُ،
الديديانُ البنفسجيَّ
تلمعُ

كظلالٍ من عوالمٍ خفيةً.

ظِلُّ عَشْقٍ

يضيءُ كهفَ صدري،

ويهربُ عبرَ عينيِّ

ليسكنَ الأفقَ.

عبرَ هذا الطريقِ المغلقِ،

يسقطُ في الرمالِ

وأنا هنا،

مثلُ ذلكِ الطائرِ.

عن كيف أن نسيم الليل، رسول العشاق الصامت،

يعبر كل الصعاب

ينامُ المجنونُ في سريرهِ القَلِقُ،
وشهقةً من ليلَى
حملها النسيمُ،
تنزعُ زهرةً بريَّةً،
وتزرعها في حدقتيه المغلقتين،
الساكنتين.
يا له من شذى يأخذُ أحلامه
ويشعلُ وجهه؟
وعلى شواطئه الداخلية، الحادة،
يجوسُ همسُ العشق الخالد.

غزل قالته ليلي

عند سماعها قصيدة جديدة للمجنون

برغم قدومها من الصحراء،

فإنها تحملُ صوتَه، والمياه، والكأ،

والزهورَ على اختلافِ أنواعها،

والطيورَ الملونة،

وتحملُ معابدَ بقبابٍ مُذهبة،

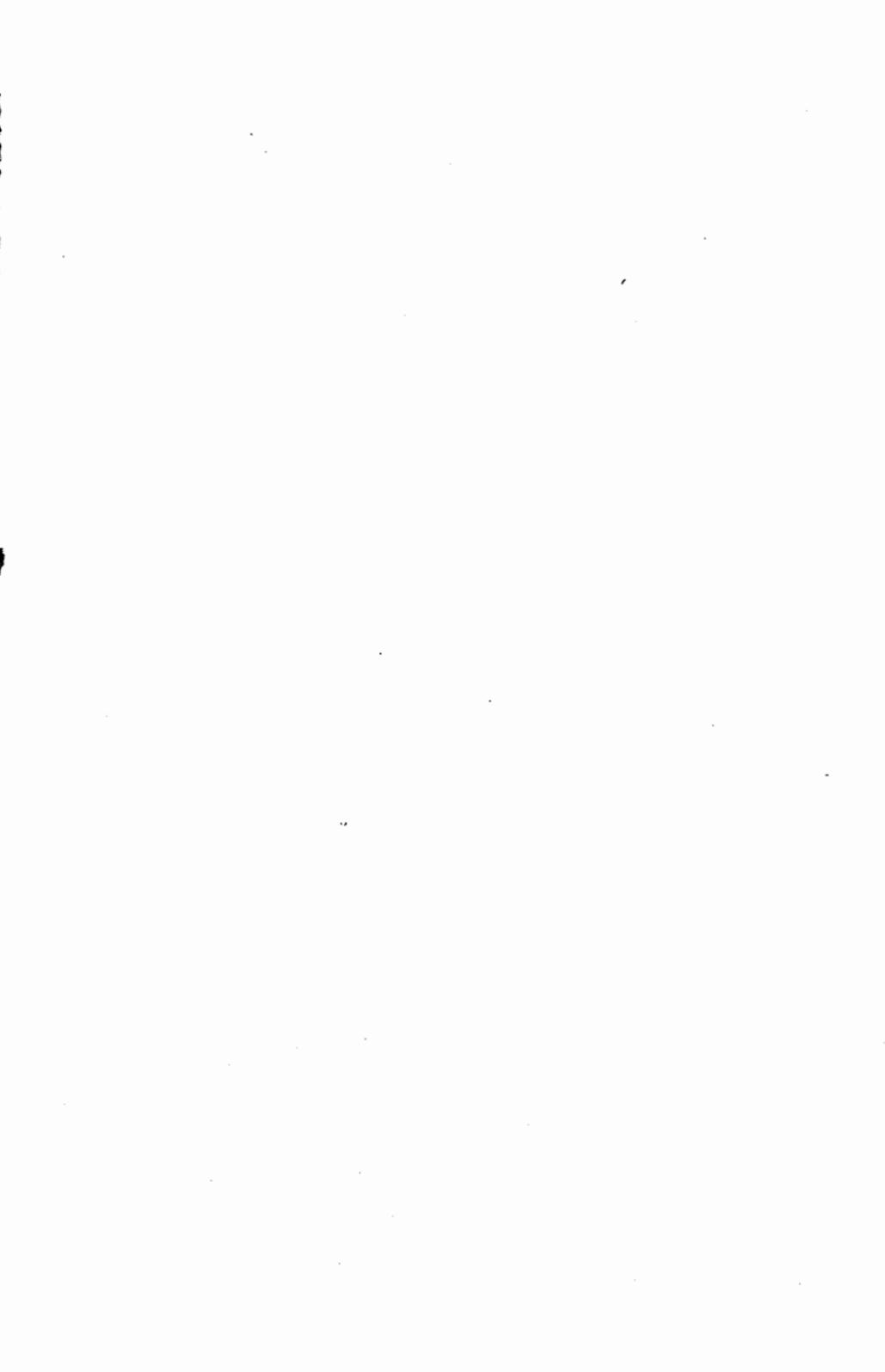
وقصوراً بأسوارٍ من الزليج

بزخارفَ زرقاء،

تمتدُّ حتى آخرِ المدى.

الفصل العاشر

الارتقاء



تذكر ليلى الشموع التي رأت يوماً على ضوءها
وجه المجنون، وليلة قمراء مر فيها المجنون

بنافذتها

في عتمةٍ مخدعي
أشتاقُ ضوءَ الشموعِ.
أوقدْها، يا قلب!
فيما سكونُ الموتِ
يغطِّي هذا الجسدُ.
كلما أوغلتُ في كهفي الخاصِّ
يغيبُ عني الضوءُ،
لأنني أستسلمُ لما هو قَدري في الرحيلِ.
في يومٍ ما، ربما،
ربما تتفتحُ نافذةٌ
فأرى عتمةَ الخارجِ.
في الأفقِ،

تَشَعُّ العَوَّاءُ⁽¹⁾ بلونها الأزرقُ.
تَكشِفُ الثَّرِيًّا عن خفتها البشوشةُ،
يشعُّ الدبران⁽²⁾ بضوئه المزهرُ،
تكونُ الليلةُ ناصعةً.

كما تلكِ الليلةِ التي أمضاها المجنونُ
تحتِ الشرفةِ،
مراقباً ضوءَ نافذتي.

¹ العَوَّاءُ راعي الشتاء/ كوكبة في نصف الكرة السماوية الشمالي وأسطع نجومها "السماك الرامح". وهي عند العرب مؤنثة.
² - نجم في السماء.

هنا يتكلم الشاعر عن كيف أن صديق المجنون
يخبره بموت ابن سلام والقافلة التي خرجت
فيها ليلى

عندما تُزهرُ نجمةُ البشاشةِ

في وجهِ المجنونِ المُعتمِّ،

عند سماعهِ النباَ من شفّتيَّ زيدِ،

كانت ليلى تَمْتَطِي جَملاً

وتبدأُ راحلةً إلیه.

المسافةُ ليست مرةً،

فالأملُ معقودٌ على الزمنِ،

حميميةٌ هي الرمالُ

التي تمنحها

قوةً من السرابِ،

حلوٌ طعمُ ملحِ الصحراءِ

الذي يغذيها

عَبْرَ الكَثبانِ.

من ليلى إلى صوت مضيء سمعته في أحلامها

من الملائك
الذي يُخِينِي فِي سَاعَةِ السَّحْرِ؟
الصَّوْتُ الْأَزْرَقُ
الذي ينسكبُ في عروقي،
يفتحُ أبوابَ الحياة،
والجنة،
إنه ليسَ إلا الحياة،
ليسَ إلا
الروضةَ الخبيئةَ
للحياة؟
من ذلكَ
الذي غناؤه،
يكتفُ الدنيا
في طيرانه،
وبخفةِ الأجنحةِ
يعلنُ
عُرِّيَ الحواسِ الكاملِ،
الانسيابِ الصافي
لنبعِ العشق؟

الفصل الحادي عشر

الإتحاد

يتأمل الشاعر ما وقع من أحداث حتى هذه

اللحظة

ليس سراياً ذلك الجمالُ
الذي يحفظُ الحبَّ في الصحراءِ.
لو انطلقتِ العيونُ في الفلاة،
في أعماقِ الروحِ الساكنةِ،
كمواضعٍ بهيجةٍ من الأخضرِ،
تنتشرُ
غازيةً الجسدَ كله،
وتفتحُ النبعَ الصافي
حيث يشربُ الغيابُ،
فيتحولُ اللامكانَ المطلقُ
إلى فعلٍ.

غزل ليلى حين تصل إلى مكان المجنون

عشقي المجنونُ يهربُ،
يهمُّ إليكُ
كعاصفةٍ من رمالٍ.
كالأمطارِ الموسميةِ
يملاً، عشقيَ المجنونُ،
الصحراءَ أنهاراً،
عشقي المجنونُ ينفذُ
في الأرضِ الخرابِ،
يبيدُ فيها الزهرةَ
التي تحيا لحظةً خاطفةً.
اقطفها يا مجنونُ،
إنها اللحظةُ
التي نحارُ فيها
إلى الأبدِ.

كلمات المجنون

إبتعدي، أيتها المحبوبةُ،
لا تبعدي
الصورةَ التي أحفظُها لكِ
من كل العواصفِ،
لتنمو في داخلي،
وبها نكون الواحدُ.
فلتُصبَّ عيونُ الجسدِ بالعمى،
وليخصَّبُ المطرُ الروحَ،
والمياه الصافيةُ.

قصيدة الكشف

لو انني أسكنك
لا قيمةً لجسدي.
خُذي لشفتيك
زهرةً يانعةً
تتبتُ في شفتي،
وضمّي إليها نارهما،
ولتضلُ
فتخطيْءُ رمادي
باللاشيء.

ليلي، حين تشعر بقرب نهايتها،
تري نظرة المجنون الأولى أمام عينيها

نظرَ إليَّ
فامتلاً قلبي
بالنجوم،
وارتفعَ المدى
على نارٍ من دمٍ،
وفي أعلي ذوائبِ الليلِ
رفعَ القمرُ عُشَّ البرقِ.
دائرياً كان مدارُ العشقِ،
وكانت الشمسُ، الخفيةُ،
تكشفُ عن توهُّجها الأبديِّ.

في لحظاتها الأخيرة تعترف ليلى بأن الحب محراب للعالم الآخر

أنتِ أينها الجنة-القلبُ
الرمانةُ الساكنةُ،
الحجرُ المشتعلُ،
إلى بوابةِ البرقِ
تقودني.
هالةٌ من التوافقِ
تتحني في البابِ.
في نعومتها،
الذهبُ والأشعةُ السبعةُ
تأخذني في دوّاماتها.
تُشعلُ النارَ الخفيةَ
طاويةً الظلالِ،
وأدخلُ
كطائرٍ
في الأبيضِ اللانهائيِّ.

تأمل الشاعر

تمتدُّ مرحلةٌ

-نحو ما لا يمكن الإمساك به-

تحدّدُ النورَ،

بحروفٍ متألّقةٍ،

تحفرُ في القلبِ ظلاً

لكائنٍ خفيٍّ.

قبل أن يقضي نحبّه على قبر محبوبته، يقول

المجنون هذه القصيدة الأخيرة

ترابٌ في الترابِ هي ليلي،
وفي اللاشيء يضيعُ بهاؤها.
أن أكونَ لاشيءَ في اللاشيءِ
هو مرادِي.
فطريقُ الموتِ
يُوحِّدنا في العوالمِ الخفيةِ.

الفصل الثاني عشر

نهاية الكلمة

.. وعرف قلب العاشق فجرها

هناك بقي المجنون،
محروسا برعيته من الوحوش،
إلى أن تحول عظاماً،
وبعدها كان تراباً.
وتحول إلى شيء،
اتحدّ بالتراب الذي كانته ليلي.
وانفجرت الأرضُ
حجراً من نار،
وتفرقت
الوحوشُ
لتحكي
تلك الأعجوبة.

يضع الشاعر نقطة النهاية لما هو مكتوب

أنا، من حبيجِ العشق،
أريد أن أقبلَ شاهدَ قبره،
وأمتليءَ بالقبلة،
من العلمِ الذي اختلسه
الزمنُ من أيامي.
أريدُ أن أقبلَ لوحةً
في قربانِ الهواء،
أنا، المحاطُ
بتلك الوحوشِ
التي هي الكلماتُ،
أعيشُ في عزلةٍ،
وفي صحراء من الجليدِ،
منتظراً زاداً وحيداً:

الماءُ الصافي
لصوتِ سيدِ الملائكةِ،
زادي.

نهاية

والآن أُقْبِلُ الكِتَابَ
الذي أنهيه هنا،
فالصفحةُ أيضاً،
تضمُّ العشقَ،
وفي الصفحةِ
أحبسُ نفسي فيها،
والتفُّ بها، كفنأً،
أكتسي به،
لأنتقدمَ
بعدها
باتجاه الصمتِ.

تنامُ ليلي
محنياً رأسها،
في كلمات المجنون،
التي تضمها كالبخور:
"جلدي محترق"،
لكنه يلمع"

الفهرس

الصفحة

5	تقديم
17	كلمات أولية
21	الفصل الأول الطفولة
29	الفصل الثاني منبت الورد
35	الفصل الثالث المجنون
43	الفصل الرابع الفراق
49	الفصل الخامس حياة في الصحراء
59	الفصل السادس المجنون يستسلم للشعر
71	الفصل السابع أعراس ليلى
81	الفصل الثامن المصفاة بالسلاسل
89	الفصل التاسع الليل
101	الفصل العاشر الارتقاء
107	الفصل الحادي عشر الإتحاد
117	الفصل الثاني عشر نهاية الكلمة

من إصدارات " دار سنابل "

- أن تعيش لتحي
السيرة الذاتية
جابريل جارتيا ماركيز
ترجمة: د. طلعت شاهين
- القرمية
رواية
تأليف: سميحة خريس
- طلسمات مصرية
محمد حسين يونس
- رصيف يصلح لقضاء الليل
شعر
سامي الغباشي
- حكاية أيراندير البرنية
تأليف: جابريل جارتيا ماركيز
ترجمة: د. طلعت شاهين
- بين انكسار الحلم والأمل
شعر
سيد جودة
- نضارة شمس
شعر
عطية حسن
- جماليات الرفض في مسرح أمريكا اللاتينية
دراسة
د. طلعت شاهين

- من حلاوة الروح
رواية
صفاء عبدالمنعم
- قطرات الماء
تأليف: ميدوروما شون
ترجمة: د. أحمد فتحي
- كتاب العشق والدم
شعر بالعربية والأسبانية
طلعت شاهين
- لحظات صالحة للقتل
مجموعة قصصية
محمود الغيطاني
- فنون المنوعات والتلفزيون
تأليف: دويدار الطاهر
- المطر الأصفر
"رواية"
تأليف: خوليو ياماناريس
- ترجمة وتقديم: الدكتور طلعت شاهين
- مملكة الجوارح
رواية
د. زينب أبو سنة
- الإ.. تعال
شعر
سهير الداوود
- الأنا الآخر
قصص من أمريكا اللاتينية
ترجمها عن الإسبانية: د. طلعت شاهين

- الطائر الأزرق
قصص من أمريكا اللاتينية
ترجمة وتقديم: الدكتور طلعت شاهين
- أبيض الناب
رواية
تأليف: جاك لندن
ترجمة: عبد الهادي الإدريسي
- ليالى القصف السعيدة
نصوص وقصص
محسن الرملي
- ليلة شهر زاد الأخيرة
شعر
مقداد رحيم
- السكسفون المجنح
شعر
سامي العامري
- رجل عدن
والسيدة ذات العيون الزرقاء
رواية
تأليف: كلارا خانيس
ترجمة وتقديم: د. طلعت شاهين
- ثلاثاءات عابر سبيل
شعر
السّمّاح عبدالله
- شخايط
شعر
نبيل خلف

- ذكريات
رواية
تأليف: جابرييل جارتيا ماركيز
ترجمة: د. طلعت شاهين
- طائرُ الشُّوك
شعر
د. زينب أبو سين
- في الليل لما خلى
رواية
صفاء عبد المنعم
- كائن العزلة
رواية
محمود الغيطاني
- المرأة المصرية في ميزان التنمية
(رؤى الواقع والقانون)
تأليف: تامر محمود راجي
- منمنمات على جدار العلاقة
شعر
محمد مغربي مكي

